

مباحث النصيحة و العظة فى شعر الإمام محمد بن ادریس الشافعى (ع)

***Subjects about Admonition and Wisdom in the Poetry of Imām
Muhammad Bin Idrīs Shāfī.***

Dr. Muhammad Munir Azhar

*Assistant Professor, Department of Islamic Studies,
Islamia University of Bahawalpur, BWN Campus.*

Dr. Muhammad Saleem Ismail

*Assistant Professor, Department of Islamic Studies & Arabic,
Govt. College University, Faisalabad.*

Abstract

Imām Al Shāfī has great contribution towards grammatical and principled Arabic poetry. It is observed that his poetry is rich with ethical values. He gained his reputation at the same time as a Muslim jurist and a great man of wisdom. He is the writer of many books regarding Islamic jurisprudence, and a famous book of poetry “Deewan e Shāfī.” More over his books contain such ethical values in couplet mood. All of these discussed values, he truly abstracted and retrieved from the holy Quran and hadith. This article presents a special study regarding his valuable topics of ethics. The article is a comprehensive study of the ethical values found in the poetry of Al imam Al-Shāfī. The important ethical values of his poetry are: true advice of Muslim and knowledge positively. He also discussed some bad habits to aware the people about their bad impacts on nature and gives examples of their destructions in human beings. Some of them are fraud, cruelty and being the secretary of the ruler etc. He also discussed some bad habits to aware the people about their bad impacts on nature and gives examples of their destructions in human beings. Some of them are fraud, cruelty and being the secretary of the ruler etc.

Keywords: *Imam, knowledge, advice of Muslim, wisdom, ethical values.*



التمهيد:

الآداب الرفيعة والقيم الجميلة يزين الإنسان وبها يحسن ويرغد له العيش وفيها بقاء الأمم ورفع الأجيال، ولا شك بأن الشعر العربي مملوء بمثل هذه الآداب وشارك فيها شعراء العرب مشاركة جلييلة وعلى رأسهم الإمام الشافعي رحمه الله شعره وإن كان قليلا ولكن كلة آداب وأخلاق وقد نثرت فيه مئات من الحكيم والمواعظ . في هذه المقالة أردنا أن نركز على شعر الشافعي رحمه الله ونستخرج منها هذه الآداب والأخلاق كي نتمثل بها في حياتنا ونعززها على الأمم.

ومما يليق هنا أن نذكر ترجمته مختصراً، وهو يلي:

الإمام الشافعي رحمه الله:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبى، وكان الإمام المطلبى ينتمى إلى أسرة الرسول حيث يجتمع نسبه بنسبه الشريف- وُلد الإمام الشافعي رحمه الله بغزة في سنة خمسين ومائة من الهجرة النبوية في أسرة فقيرة التي كانت تعيش في فلسطين بالأحياء اليمينية ، ومات أبوه في صغر سنه فانتقلت أمه به إلى مكة المكرمة خشية أن يضيع نسبه وكان عمره حينئذ سنتين وعاش عيشة اليتامى الفقراء مع أن نسبه كان رفيعاً شريفاً عند المسلمين وكان لذلك أثر كبير في حياته- حفظ الإمام الشافعي رحمه الله القرآن الكريم وكان عمره سبع سنوات وحفظ الموطأ للإمام مالك بن أنس وكان عمره عشر سنوات كما أشار الإمام الشافعي رحمه الله بهذا الصدد قائلاً:

”حفظت القرآن الكريم وأنا ابن عشر سنين“¹

وقد اتجه الإمام الشافعي رحمه الله إلى تعلم اللغة العربية الفصحى فرحل إلى قبيلة هذيل لهذا الغرض

العظيم كما قال الإمام الشافعي رحمه الله بنفسه:

”إني خرجت من مكة فلامت هذيل بالبادية، أتعلم كلامها، وأخذ طبعها، وكانت أفصح العرب،

أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار“²

ثم رحل الإمام الشافعي رحمه الله إلى المدينة المنورة طلباً للعلم كي ينهل العلوم والآداب من عالم المدينة

إمام دارالهجرة مالك بن أنس رحمه فأخذ منه والحديث، ثم سافر الإمام الشافعي رحمه الله إلى اليمن ثم ارتحل إلى

¹ الحموى، ياقوت، معجم الأدباء (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ)، 7: 284

² أيضاً

بغداد فقرأ العلم على القاضي محمد بن الحسن الشيباني، وأخذ يدرس المذهب الحنفي على العلماء الكبار ، وبذلك اجتمع له المذهب المالكي وفقه العراق (المذهب الحنفي)، ثم رجع الإمام الشافعي رحمه الله إلى مكة المكرمة وأقام فيها تسع سنوات قريبا، وكان يلقي الدروس في الحرم المكي ثم سافر إلى بغداد مرة ثانية وخلال هذا القيام قد ألف كتابه الشهير "كتاب الرسالة" الذي وضع به حجر الأساس لعلم أصول الفقه وأصول الحديث ثم رحل الإمام إلى مصر في سنة ١٩٩ هـ.¹

وقد اتجه الإمام الشافعي رحمه الله نفسه إلى عمل يكتسب منه ما يدفع حاجته بعد وفاة الإمام مالك، وتولّى القضاء فأقام العدل، وكان الناس من قبل يصانعون الولاية والقضاة ويتملقونهم ليجدوا عندهم سبيلاً لأغراضهم ولكنهم وجدوا في الشافعي رحمه الله عدلاً حيث لا سبيل إلى الاستيلاء على نفسه بالمصانعة والتملق. وكان الإمام الشافعي رحمه الله متواضعاً مع كثرة علمه ومعروفاً بالكرم والسخاء، وكان أسخى الناس ورعا وكثير العبادة وكان يختم القرآن الكريم في كل ليلة، قال الربيع بن سليمان المرادي المصري:

" وكان الشافعي رحمه الله يختم القرآن الكريم في شهر رمضان ستين مرة، كل ذلك في الصلوة "²

شعر الإمام الشافعي رحمه الله:

نظم الإمام الشافعي رحمه الله الشعر في موضوعات شتى من الزهد والعلم والحكمة والفخر والشكوى والوعظ والنصيحة والبشرى والمغفرة والمناجات والكلمات الدعائية وغيرها ، وكان قريشياً من حيث النسب فصيح اللسان وبلغ الكلام عظيم الملكة في تعبير المفاهيم نظماً ونثراً حتى قال رحمه الله عن مكانة نفسه في الشعر:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت أشعر من لبيد³

¹ الرازي، عبدالرحمن بن أبي حاتم، آداب الشافعي ومناقبه (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003ء)، ص: 33

وابن خلكان، وفيات الاعيان (دار صادر، طبع في عدة سنوات من 1900 الى 1994ء)، 1: 566

² الرازي، آداب الشافعي ومناقبه، ص: 101

³ كان لبيد بن ربيعة العامري شاعراً جاهلياً عظيماً كما ذكر ابن قتيبة عنه: هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ويكنى لبيد أبا عقيل، وكان من الشعراء الجاهلية وفسانهم وأدرك لبيد الاسلام وقدم على رسول في وفد بني كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيد إلى كوفة وبنوه، فرجع إلى البادية بعد ذلك، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن في صحراء بني كلاب ويقال أن وفاته كانت في أول خلافة معاوية وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة - انظره: الدينوري، ابن قتيبة،

وأشجع في الوغى من كل ليث
وأل مهلب وبنى يزيد
ولولا خشية الرحمن ربي
حسبت الناس كلهم عبيدي¹
وكان رحمه الله آية عظيمة في وفرة المعاني وذخرة الكلمات تموج هذه الحكمة في قلبه كموج البحر ويفيض
على اللسان فيضان النهر الجاري ويستطيع أن يبارز في الهجاء والمذمة ولكنه كان كريماً فهان عليه علاج هذا الداء ولم
يضيع نفسه وكلامه في هذا المضمار ، يقول في أشعاره وكلامه:

عندى يواقيت القريض ودّه
على إكليل الكلام وتاجه
تربي على روض الربا أزهاره
ويرق في نادى الندى ديباجه
وعداوة الشعراء داء معضل
ولقد يهون على الكريم علاجه²

الوعظ والعظة لغةً:

أما كلمة الوعظ فهو مصدر قولهم وَعَظَ يَعِظُ من مادة (وع ظ) التي تدل على التخويف، والعظة الاسم منه
فهو مستعمل في: التذكير بالخير كما جمع مرتضى الزبيدي التعريفات العديدة للنحاة واللغويين ونقل عن ابن فارس
بأنه قال:

”الوعظ: هو التخويف والإنذار، وقال الخليل: هو التذكير في الخير بما يرقق القلب“³

واصطلاحاً:

الوعظ في اللغة و الشرع له معان كثيرة، منها:

”الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب“

”الوعظ إهراز النفس بموعد الجزاء ووعد قاله الحرالي ، وقيل: التذكير بالخير فيما يرق له القلب“⁴

وعرفه الراغب الاصفهاني :

الشعر والشعراء، (القاهرة: دار الحديث، 1423هـ)، 1: 52

¹ الشافعي، محمد بن ادریس ، ديوان الشافعي ، تحقيق: زهدى يكن (بيروت : دارالثقافة ، 1941ء)، ص: 89

² الشافعي ، ديوان الشافعي ، ص: 64

³ الزبيدي، محمد بن محمد الحسنی، تاج العروس من جواهر القاموس (الكويت: طبعة الكويت، 2008م) مادة: وعظ، 1: 84

⁴ المناوي، محمد عبد الروف، التوقيف على مهمات التعاريف، (بيروت: دار الفكر، 1410هـ)، ص: 278

”الوعظ زجر مقترن بتخويف“¹

الزجر في الوعظ غير مستحسن إلا إذا أُحيل المقام إليه -

الحكمة لغةً:

مصدر قولهم حَكَمَ أى صار حكيماً هو مأخوذ من مادة (ح ك م) التى تدل على المنع أو المنع للإصلاح، ومن هذا الأصل أخذ أيضاً الحَكَم فى معنى المنع من الظلم وحَكَمَةَ اللِّجَام لأنها تمنع الدابة عما لا يريد صاحبها والحكمة تمنع من الجهل-

يقول الجوهري: ”الحكمة: المانعة من الجهالة“

وقال الراغب: ”الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل ويختلف معنى الحكمة باختلاف من يتصف بها“²

واصطلاحاً:

ذكر الاصوليون واللغويون تعريفات شتى للحكمة، اخترت منها ما يأتى:

”الحكمة: معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به وهو التكليف الشرعية“³

وقال ابن القيم رحمه الله:

”الحِكْمَةُ: فعل ما ينبغى على الوجه الذى ينبغى فى الوقت الذى ينبغى“⁴

موضوعات الوعظ والحكمة:

اعلم ان الموضوعات والمعانى التى فاض بها لسانه كثيرة جداً ويصعب حصرها علماً بأن الإمام الشافعى رحمه الله كان مصداقاً بالله راجياً من الله ومراقباً لله وأنّ الفكرة فى شعر الشافعى رحمه الله أكبر من ثوب الشعر نفسه وعبارة أخرى: إن الألفاظ و التراكيب العربية فى شعر الشافعى رحمه الله لايسع أفكاره العميقة و يمتلئ شعره بالحكم المختلفة التى تتناول أموراً شتى من حياة الناس كالصحة والصدقة وأخلاق الناس وتغيرات الزمان وغيرها ونحن نختار منها أشياء مهمة تتعلق بالوعظ والحكمة وهى كالاتى:

¹الراغب، الحسين بن محمد الاصفهاني، المفردات (دمشق: دارالقلم، 2010ء)، ص: 527

²أيضاً، ص: 126

³التهانوى، محمد حامد بن على الحنفى، كشاف اصطلاحات الفنون (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996ء)، 1: 270

⁴ابن القيم، الجوزية، مدارج السالكين (بيروت: دارالعلم للملأين، 2001ء)، 2: 449

الأول - الرغبة في الله والرجاء منه:

كان الإمام الشافعي رحمه الله جالساً في مدينة الرسول بعد صلوة الصبح فدخل رجل وقال له: إني خائف من ذنوبي وليس لي عمل فطيب الشافعي رحمه الله خاطره وأذهب خوفه بقول الله عز وجل:
”ومن يغفر الذنوب إلا الله“¹

ثم أجابه بالأبيات التي تدل على أن الله أهم الإنسان التوحيد والمعرفة والهداية وأودعها في فطرته ، وهذا يدل على أن الله لم يُرد أن يعذبه ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

إن كنت تغدو في الذنوب جليداً
فلقد أتاك المهيمن عفوه
لا تياسن من لطف ربك في الحشا
لو شاء أن تصلى جهنم خالداً
وتخاف في يوم المعاد وعيداً
وأفاض من نعم عليك مزيداً
في بطن أمك مضغة ووليدا
ما كان أهم قلبك التوحيداً²

وحث العاصي على أمر في غاية النفع والرشد بأن يتوب الإنسان إلى الله في هذه الحالة ويطلب منه المغفرة كما قال تعالى:

”قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ“³

أى لا تيأسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة وفسر أحمد بن محمد المهدي بن العجيب الشاذلي هذه الآية القرآنية المذكورة فقال:

”لا تيأسوا من مغفرة أولاً وتفصله بالرحمة ثانياً {إن الله يغفر الذنوب جميعاً} بالعفو عنها، إلا الشرك“⁴
وكان الإمام الشافعي رحمه الله مريضاً فدخل عليه تلميذه المزني فوجده ينظر إلى السماء باكياً ومناجياً ويقول:

¹ آل عمران: 135

² الشافعي ، ديوان الشافعي ، ص: 87

³ الزمر: 53

⁴ الشاذلي ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني ، البحر المديد (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002 ء)، 6: 412

تعاظمني ذنبي فلما قرنته
ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي
بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
جعلت الرجا منى لعفوك سُلماً
يقيم إذا ما الليل مدّ ظلامه
على نفسه من شدة الخوف مأتماً¹

الثاني-التأمل في العاقبة:

وكان الشافعي رحمه الله دائم الفكر في الأمور التي ينجح بها الإنسان ويرغب الإنسان إلى أن يذكر عاقبة
الأمور والمصير التي يؤول إليه كي يتهيأ للآخرة والمعاد، يقول الشافعي رحمه الله:

يا واعظ الناس عما أنت فاعله
يا من يعدّ عليه العمر بالنفس
احفظ لشبيبك من عيب يدنسه
إن البياض قليل الحمل للدنس²

إلى أن قال:

تبغى النجاة ولم تسلك طريقها
يوم القيامة لا مال ولا ولد
إن السّفينة لا تجرى على اليبس
وضمة القبر تنسى ليلة العرس³
كما يرغب في أشعاره إلى أن نصيب الإنسان من الدنيا ما كتبه الله تعالى ولن تستطيع أن تنال أكثر من حظك
واعمل لآخرتك حتى تسعد سعادة عظيمة كما أرشدنا إلى ذلك نبينا الكريم الذي أوتى الحكمة من الله
تعالى حيث يقول:

”من كانت الدنيا همّه؛ فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كُتِب له، ومن
كانت الآخرة نيّته؛ جمع الله أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة“⁴

الثالث-الرحلة والاعتراب:

ويوجد التشجيع لزيارة الأماكن المختلفة في شعر الإمام الشافعي رحمه الله كما هو يكشف عن فوائد السفر

¹ الشافعي، ديوان الشافعي، ص: 107

² أيضاً

³ أيضاً، 108-109

⁴ ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن (الرياض: دارالسلام للنشر والتوزيع، 2009ء)، حديث: 4105؛

الشيبياني، أحمد بن حنبل، المسند (بيروت: دارالمعرفة)، 5: 183

قائلاً تحت عنوان: "الضرب في الأرض":

سأضرب في طول البلاد وعرضها أنال مرادى أو أموت غربياً

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج همّ، واكتساب معيشة وعلم وآداب و صحبة ماجد

ويدعو الإمام الشافعی رحمه الله إلى التنقل والترحال بأسلوب رائع ويخصّ على السفر ويضرب المثل

للمسافر إذا سافر بالماء الجارى الطيب وإن لم يغترب فمثله مثل وقوف الماء يكون سبباً لدنسه وفساده ، استمع إليه

يقول:

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب من راحة فدع الأوطان واغترب

سافر تجد عوضاً عن تفارقه وانصب فإن لذيد العيش فى النصب

إنى رأيت وقوف الماء يفسده إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب¹

وفى طرف آخر يذكر غربه العيش والوحدة للمسافر ، وما أحسن ما قال الإمام الشافعی رحمه الله ذاكرا

مشاعر وأحاسيس الغريب فى غير دياره ، وشبه قلبه تشبيهاً بليغا بجناح طير خافق:

إن الغريب له مخافة سارق وخضوع مديون وذلة موثق

فاذا تذكر أهله وبلاده ففواده كجناح طير خافق²

الرابع-التوكل على الله تعالى وحده:

لقد أرشد الإمام الشافعی رحمه الله الناس بأن يتوكلوا على الله فى كل أمر ، ورزق الانسان مِنَّةً مِّنَ الله عليه

بعطائه وسر الغنى هو القناعة والرضا على ما وهبه الله تعالى ، يقول الشافعی رحمه الله:

توكلت فى رزقى على الله خالقى أيقنت أن الله لاشك رازقى

وما يك من رزقى فليس يفوتنى ولو كان فى قاع البحار الغوامق

سيأتى به الله العظيم بفضله ولو لم يكن منى اللسان بناطق

ففى أى شئ تذهب النفس حسرة وقد قسم الرحمن رزق الخلائق³

¹ الشافعی ، ديوان الشافعی، ص: 56، 48

² ايضاً، ص: 136

³ ايضاً، ص: 137

يقول الإمام فخر الدين الرازي مفسراً الآية الكريمة:

”و من لستم له برازقين“¹

”أن النَّاسَ يظنون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد وذلك خطأ فإن الله هو الرَّزَّاق يرزق الخادم والمخدوم والمالك والمملوك لأنه تعالى خلق الأطعمة والأشربة وأعطى القوة الغذائية والهاضمة“²

الخامس-القناعة رأس الغنى:

بيّن الإمام الشافعي رحمه الله بأن القناعة نعمة عظيمة ومن رزقها فهو يعيش عيش الملوك في هذه الدنيا ويلقى ربه راضياً مرضياً لأنه رَضِيَ بِهَا آتَاهُ اللهُ وَلَمْ يَكْفُرْ بِهِ بِالشُّكُورِ ، وهذه هي طريق الفلاح للإنسان في الدارين كما أرشد إليه نبينا ﷺ حيث قال:

” قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِهَا آتَاهُ“³

يقول الإمام الشافعي رحمه الله في القناعة:

رأيت القناعة رأس الغنى	فصرت بأذيالها متمسك
فلا ذا يرانى على بابه	ولا ذا يرانى به منهمك
فصرت غنياً بلا درهم	أمر على الناس شبه الملك ⁴
ويحى على القناعة بقوله هذا:	
ولا تَرْجُ السَّامِحَةَ من بخيل	فما فى النار للظمان ماء
ورزقك ليس ينقصه التانى	وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنتَ ذا قلب قنوع	فأنت ومالك الدنيا سَوَاءٌ ⁵

¹ الحجر: 20

² الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربى، 1420ء)، 1: 266

³ القشيري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2006ء)، حديث: 125

⁴ الشافعي، ديوان الشافعي، ص: 142

⁵ ايضاً، ص: 61

السادس-الدهر حادث:

أجمل ما كتب الإمام الشافعی رحمه الله في النصيحة مخاطباً الإنسان بأنه لا ينبغي له أن يقف على حوادث الزمن وينحصر على القضاء ولا يخاف منها لأن هذه الحوادث الزمنية فانية لا بقاء لها كما قال "و تلك الأيام نداؤها بين الناس"¹ فعليه أن يكون رجلاً شجاعاً سخياً وفيماً وذا شمائل ممتازة ومنفردة وهو يقول:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفساً إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء

وكن رجلاً على الأهوال جلداً وشيمتك المروءة والوفاء²

ويبين الشافعی رحمه الله أن الدهر على قسمين كما أن العيش صفو أو كدر فالعاقل هو الذي يستفيد من

حياته حتى يعيش حياة سعيدة وينعم نعمة أبدية:

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر

أما ترى البحر يعلو فوقه جيف يستقر بأقصى قاعه الدرر

وفي السماء نجوم لا عداء لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر³

كما يبين الشافعی رحمه الله أن الدهر يعلم الإنسان ويؤدبه كثيراً ما يجهل، والدهر معلم مستقل، والليليب

هو الذي يستفيد من الدهر ويتأدب بالدهر وحوادثه، يقول:

كلما أدبني الدهر رأرأني نقص على

وإذا ما زدت علماً زادني علماً بجهل⁴

السابع-الأرزاق والحظوظ من الله تعالى:

ويكرر الإمام الشافعی رحمه الله أن سعة الرزق وضيقه من الله سبحانه وتعالى وبسط الرزق وقدره ليس

على العقول والذكاء بل هي منة عظيمة من الله سبحانه وتعالى، ويرزق العبد كثيراً مع جهله وعصيانه، يقول:

¹ آل عمران: 140

² الشافعی، ديوان الشافعی، ص: 19-20

³ أيضاً، ص: 98

⁴ أيضاً، ص: 145

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني
بنجوم أقطار السماء تعلقى
لكن من رزق الحجا حرم الغنى
ضدان مفترقان أى تفرق
إن الذى رزق اليسار فلم ينل
أجرا ولا حمدا لغير موفق
والجد يدنى كل أمر شاسع
والحد يفتح كل باب مغلق¹

وذكر الإمام الشافعى رحمه الله أن الأسد من أكبر وأشد الحيوانات خلقا وشجاعة وقد يموت جوعا

والمخلوقات التى هى أضعف منه بكثير تجد أفواتهم بسعة وسهولة:

تموت الأسد فى الغابات جوعا
ولحم الضأن تأكله الكلاب
وعبد قد ينام على حرير
وذو نسب مفارشهُ التراب²
والرزق لا يوهب بالعقل والذكاء بل قد يفوق الجاهل بالمال والرزق ، يقول الشافعى رحمه الله :
لو كنت بالعقل تُعطى ما تريد به
لما ظفرت من الدنيا بمسروق
رزقت ما لا على جهل فعشت به
فلست أول مجنون بمرزوق³

الثامن- قيمة الآداب والشيم:

ومن الأمور البديهية المسلمة أن حياة الأمم وبقائها إنما بالأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة ونحن الآن فى زمن أكثر فيه الناس من العلوم المادية و التكنولوجيا وتبجحوا بها ومحقرون العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب الدينية وكم من فئة وأمة يصدق عليها قول الشاعر : إنها الأمم أخلاقهم وإن ذهب أخلاقهم هم ذهبوا، ومن شعر الإمام الشافعى رحمه الله الذى يخاطب القلب خطاباً مباشراً فى قيمة الآداب والأخلاق قوله:

أصبحت مطرّحا فى معشر جهلوا
حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب
والناس يجمعهم شمل، وبينهم
فى العقل فرق وفى الآداب والحسب
كمثل ما الذهب الإبريز يشركه
فى لونه الصفر، و التفضيل للذهب⁴

¹ الشافعى ، ديوان الشافعى ، ص: 132

² أيضاً، ص: 27

³ أيضاً، ص: 188

⁴ أيضاً

و تناول الإمام الشافعی رحمه الله جمهرة الناس من عامة وخاصة في شعره ومقطوعاته الحكمية، فانه مارس مسئولية الكلمة الصادقة والرأى الحر ولم يتبع سبيل الخائفين الذين يحبون الحياة الدنيا ويذرون الآخرة، فلم يغفل عن الحكام الذين يظلمون الناس فيبين أن عاقبة هذا الظلم وخيمة وأن هناك سنة كونية لا بد من تحققها وهي: ”كما تدين تدان“ أو حسب قول الشافعی رحمه الله: ”هذا بذاك“ وهو يقول إن عداوة الحاسد أشد من عداوة غيره موافقاً ما أمرنا الرسول الهادي الكريم من التعاليم الإسلامية كما روى في كتب الأحاديث النبوية بأن الحسد والبغضاء وفساد ذات البين أسباب الهلاك والدمار للأمم-

التاسع- أثر الصحبة:

يظهر الإمام الشافعی رحمه الله شكواه من مصاحبته من هو غير جدير بصحبته في غربته، فيعبر عن ذلك في بيتين من الشعر البليغ قائلاً:

وأنزلني طول النوى دار غربة
إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكلة
أحامقه حتى يقال سجية
ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

العاشر - الحب الصادق:

ينصح الإمام الشافعی رحمه الله الإنسان أن يحب الله عز وجل حباً صادقاً والمحبة الصادقة لله تقتضى أن يكون العبد مطيعاً لله في جميع أمور الحياة شاكراً لأنعمه، يقول الشافعی رحمه الله:

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يجب مطيع
في كل يوم بيتديك بنعمة
منه وأنت لشكر ذاك مضيع¹

الحادى عشر- الرئاسة بالعلم فقط:

يقول الإمام الشافعی رحمه الله مكتشفاً أهمية العلم للإنسان:

علمى معى حيثما يمتت ينفعنى
قلبى وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى
أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق
وكان الإمام الشافعی رحمه الله عالماً عظيماً وعارفاً كبيراً ومصلحاً جليلاً، وهو يقول معرفاً لفقيره والرئيس

¹ الشافعی ، ديوان الشافعی ، ص: 124

والغنى في الاشعار التالية:

انّ الفقيه هو الفقيه بفعله
ليس الفقيه بنطقه ومقاله
وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه
ليس الرئيس بقومه ورجاله
وكذا الغنى هو الغنى بحاله
ليس الغنى بملكه وباله¹
وقال الإمام الشافعي رحمه الله مُكتشفاً فلسفته عن العلم:
كل العلوم سوى القرآن مشغلة
إلا الحديث و علم الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا
وما سوى ذاك وسواس الشياطين²

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم يخاطب الانسان بقوة البيان والتاثير العجيب حتى يجذب نظر القارئ
وسمع السامعين ويقبض قلوب المتفكرين ، وهذا الكتاب أصل في الوعظ ورأس كل حكمة ولذا نجد التراكيب
والكلمات والتشبيهات القرآنية في شعر الإمام الشافعي رحمه الله بكثرة ، مثل ما يقول الإمام الشافعي رحمه الله :

قضاة الدهر قد ضلوا
فباعوا الدين بالدنيا
فأرعى الایمان قول مبین
وأعربوا زكى قد يزيد وينقص
فقد بانّت خسارتهم
فما ربحت تجارتهم
صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا
من راقب الله في الأمور نجا

الثاني عشر- التنحي من الملوك:

وكان الإمام الشافعي رحمه الله شاعراً حكيماً و مصلحاً كبيراً وكان مستغنيا قنوعا لا يقف على أبواب
الملوك ولا يقصدهم بكلامه كما هو يقول لا يجوز للانسان العاقل أن يقف على أبواب الملوك ويطلب منهم المال
والعطاء. والإمام يعرف المكانة الصحيحة للشعر في الإسلام مع أن طبيعة الشعراء بأنهم يبالغون في تعبير المعاني
الكاذبة والألوان المزخرفة وكم من شاعر لم يقصد من شعره إلا التكسب وجلب الأموال والتقرب إلى الملوك، يقول
الشافعي رحمه الله في منزلة الملوك:

انّ الملوك بلاء حيثما حلوا
فلا يكن لك في أبوابهم ظل
ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا
جاروا عليك وإن أرضبتهم ملّوا

¹ الشافعي ، ديوان الشافعي ، ص: 144

² ايضاً ، ص: 179

إن الوقوف على أبوابهم ذل¹

فاستعن بالله عن أبواب كرما

خاتمة البحث وأهم النتائج :

بعد دراستنا أشعار الامام الشافعی رحمه الله حول الموضوعات السابقة نجد ان الامام اعتنى بهذا الفن جيداً و يبدو من الدراسة بأن له طول باع في ميدان الأدب والشعر وإن كانت شهرته في علوم الفقه والحديث أكثر فالأدب في الحقيقة دعوة إلى التحلي بمكارم الاخلاق، والتزيين بكل شيء حسن والبعد عن قبائح الخصال. الإمام الشافعي ساهم مساهمة حسنة في غرس هذه الآداب السامية والخصائل الجميلة في نفوس البشر وقد اخترنا بعض الموضوعات المهمة من بين هذه الموضوعات الكثيرة المنتشرة في ديوانه: الرغبة في الله تعالى، والتوكل على الله، والقناعة رأس الغنى، حصول الرزق، التأمل في النتائج والعواقب دائماً، وفوائد الرحلة في طلب العلم، أهمية الشيم الحسنة في حياة الإنسان، وأثر الصحبة، والحب الصادق والرئاسة بالعلم ونستطيع أن نستخلص بهذه النتائج:

الأول: أن الإمام الشافعي حري أن يقتدى ويستفاد منه في الآداب الجليلة والأخلاق الجميلة مثل ما استفيد منه في علوم الفقه والحديث.

الثاني: الغرض الأساسي من الآداب سواء كان نثراً أم شعراً هو تثقيف الإنسان بالمقدرة العلمية والموهبة العملية التي تحثه على التحلي بالعادات والخصائل الحسنة والتجنب من سبب الأخلاق والرذائل، والأدب إذا لم يعطى هذه النتائج فاعلم أنه أدب فاشل لا يجتنى الأمة من ثمراتها إلا الإلحاد والانحراف.

الثالث: لا شك أن علماء الملة الإسلامية خدموا علوم القرآن والسنة والفقه العملي ولم يهملوا جانب الأدب بل ساهموا في ذلك مساهمة جليلة وجاءوا بالأشياء والأفكار البديعة وهم يقرضون العبارات والأشعار بالمعاني الجليلة والعظيمة كي يعظم قدر الإنسان عند نفسه فعلى العلماء والباحثين أن يتوجهوا إلى هذا الميدان ويجمعوا ما تفرقت وتشتت في المراجع المختلفة ثم يرتبون ويخرجونها إلى حيز الطبع.



This work is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License.

¹ الشافعي، ديوان الشافعي، ص: 148